نوادر الصل الهندي

(١) الصل

الهندية او الصل الهندسي حية معروفة تمتاز بانتفاخ وداجيها كما ترى في هذا الشكل تكثر في بلاد الهند وتقتل من الهنود نحو عشرين الفاً كل سنة وقلما تهمل ملسوعها اذا تمكنت منهُ الاَّ دقائق قليلة . وهي منتشرة في كل بلاد الهند والبلدان المجاورة لها شرقاً وغرباً ويكثر فتكها بالناس في اشهُر الصيف حين تهطل الامطار الغزيرة في تلك البلاد فتخرجها من جحرها وتضطرها الى دخول البيوت فيطأها السكان وهم لا يدرون فتلسعهم دفاعاً عن نفسها و يبلغ قتلاها خمسة اضعاف قتلى الفهود والنمورة وكل الضواري . واكثر ما توجد فيهِ جحر الجرذ لانها تغتصبهُ منهُ وتأكل ما فيهِ وتتخذهُ لها مسكناً. وطعامها الجرذان والضفادع والعظايات والبيض والسمك . ويقال انها تستطيب لبن البقر كما يظهر من الحادثتين التاليتين وقد رواها احد كتَّاب الهنود حديثاً في جريدة العالم الانكليزية قال

قام قرويٌّ ليحلب بقرتهُ في الصباح على جاري عادة الهنود فوجد لبنها قليلاً ولم يعبأ بذلك اولاً ثم وجد اللبن قليلاً في اليوم التالي وما بعدهُ فظنَّ ان احد جيرانهِ خالتهُ اليها وحلبها قبلهُ فسهر ليلتهُ كلها وهو يرقب البقرة الى الفجر الاول واذا بها قد اخذت ترتعد وترتجف ثم

شخصت عيناها ووقفت ساكنة كأنها اصيبت بصاعقة . وسمع صوتاً شبيهاً بصوت الرضاعة فدنا منها واذا بهندية كبيرة قد اتت على رجليها والتقمت حلمة من حلمات ضرعها وجعلت ترضع اللبن منهُ فصبر عليها الى ان رضعت كفايتها وعادت الى جحرها فتبعها وقتلها

والناس في بلاد الشام يروون قصصاً كثيرة من هذا القبيل وكنا نحسبها موضوعة قم نعباً قبلاً بالبحث عن حقيقتها لاسيما واننا رأينا كتَّاب الاوربيين يكذبونها اما راوي هذه القصة فظاهر كتابتهِ يدل على انهُ من المحققين ونحن الى تصديق روايتهِ اميل منا الى تكذيبها لاسيما وانهُ قد صوَّر البقرة والهندية ترضع منها كما ترى في الشكل الثاني

(٣) الفيل يرضع البقرة

وقد ذكر الجاحظ ما يثبت ذلك في كتاب الحيوان قال زعم بعض رجال من اهل البادية ان الحية في بلادهم تأتي البقرة الحلوبة (اي التي كثر اللبن في ضرعها) فتنطوي على فخذيها وركبتيها الى عراقيبها ثم تمخص صدرها تحت اخلاف ضرعها حتى تلتقم الخلف فلا تستطيع البقرة ان تقوم فلا تزال تمص اللبن وكلما مصَّت استرخت وزعموا ان تلك البقرة اما ان تموت واما ان يصيبها في ضرعها فساد شديد تعسر مداواتهُ . قال والحية تحب اللبن واذا وجدت الاناء غير مخمر كرعت فيهِ وربما بجت فيهِ ما صار في جوفها فيصيب شارب ذلك اللبن اذًى ومكروه كثير . انتهى كلام الجاحظ

والحادثة الثانية اغرب من الاولى وهي انهُ كان عند اثنين من الخواة وهما اخوان ست هنديات كانا يضعانها في سلال صغيرة في زاوية كوخ ينامان فيهِ وارض الكوخ من التراب الاسود وعليها حصير ينامان عليهِ ويلتحفان بملاءة بيضاء . واتفق ان قام احدهما في الصباح لبعض امرهِ وبقي الثاني نائمًا وبعد قليل فتح عينيهِ فرأى الاصلال قد خرجت من سلالها

واتصبت حولهُ كما ترى في الشكل الثالث تخاف ان هو حرَّك يدًا او رجلاً ان تنقضَّ عليهِ وتوسعهُ لسعًا فاغمض عينيهِ وقد ايقن بالهلكة لكن عين العقل لا تغمض في الشدَّة ولو حاول المرء اغماضها فاخذ يفكر في كيف فتحت السلال وخرجت منها وفي ما يمنعها من نهش بدنهِ وقال في نفسهِ لعلها ضجرت من رؤية الملاءة البيضاء التي عليهِ وتمكن منهُ هذا الظن فايقن انهُ يبقى سالمًا ما دام قادرًا ان يملك نفسهُ عن الحركة. وسرَّت الدقائق وهو يحسبها ايامًا وأعوامًا الى ان قرع صبرهُ وخانهُ جلدهُ فعزم ان ينهض بغتة ويهرب من وجهها لكنهُ رآها تحيط بهِ من كل ناحية . ولو كانت واحدة لسهل عليهِ ان يقبض عليها بمهارتهِ ويدفع اذاها عنهُ فاغمض عينيهِ ثانية وحاول التسليم للقدر المحتوم واذا بصوت انيسٍ خارج الكوخ فناداهُ بصوت لم يكد يُسمَع لكن اخاهُ سمع الصوت وادرك حالاً انهُ سيء شدة ولولا ذلك ما ناداهُ

(٣) الاصلال منتصبة حول المحاوي

همسًا فبادر اليهِ يخلص خطاهُ اخلاصًا ولما رأى الاصلال منتصبة حولهُ عاد ادراجهُ وكان يحمل لبنًا فصبهُ في صحفة كبيرة ودخل بها الكوخ ووضعها في احد جوانبهِ فلما استروحت الاصلال اللبن اسرعت اليهِ وجعلت تكرع فيهِ وقام الرجل مسرعًا وخرج من الكوخ واغلق الباب

وظاهر القصَّة ان اياب هذه الاصلال لم تكن متزوعة فان مهرة الحواة قد يتركونها ولا يخشون بأسًا لا لان سم الصل لا يفعل بهم كما يزعم العامَّة بل لان لهم في مسكهِ مهارة فاذا قبضوا عليهِ عرفوا كيف يتقون شرهُ

وطول الصل من اربع اقدام الى خمس وقد يبلغ ست اقدام . ذكر الكاتب المشار اليهِ آنفًا ان اباهُ قتل صلاً ذات ليلة وقاسهُ في الصباح بعد ان تقلَّص جسمهُ قليلاً فوجد طولهُ

ست اقدام ومحيطه نصف قدم ثم قتل هو اتاهُ بعد ايام فوجد طولها خمس اقدام ونصف قدم

وذُكر في كتاب التاريخ الطبيعي لملكي الذي طبع حديثاً فيل بلغ طوله سبع اقدام وربع قدم . وفي بلاد الهند نوع آخر من الفيل اكبر من هذا يبلغ طوله ١٣ قدماً وهو اشرس منهُ وافتك ولكنهُ قليل جداً وولا ذلك لزاد فتك الاصلال فيها كثيراً . اما الفيل المصري فاكبر من الفيل الهندي قليلاً وهو اصغر اللون يكثر بين يدي الحواة في هذه العاصمة

وفي فك الفيل الاعلى نابان متصلتان بجرابين كبيرين كلٌّ منهما كالفوزة شكلاً وحجماً وورائه هاتين النابين انياب كثيرة اصغر منهما فاذا قلعتا او كسرتا قام غيرهما مقامهما ولذلك يضطر الحواة ان ينزعوا انياب الاصلال مراراً اذا لم ينزعوا كل الاسنان التي وراءها دفعةً واحدة . والانياب غير سامَّة بالذات وما هي الاَّ آلة لجرح البدن حتى يصل السم من اجربتها الى الجرح ويجري مع الدم . والقول المشهور في كتب الحيوان ان هذه الانياب مثقوبة على طولها يجري السم في ثقبها الى الجرح او فيها ميزاب يجري السم فيهِ لكن الكاتب المذكور آنفاً انكر ذلك على الاطلاق وقال انهُ لو كانت الانياب مثقوبة ومتصلة باجربة السم لوجب ان يُنفَث السمُّ منها دواماً وهذا اسراف لا داعي لهُ وما كانت الطبيعة لتجري عليهِ وانما بين الجراب واصل الناب انبوب دقيق تحيط بهِ عضلة تقبض عليهِ فتخنقهُ وتمنع جري السم منهُ الاَّ اذا تهيأ الفيل للسم فان هذه العضلة تنبسط حينئذٍ فيجري السم من الجراب الى قاعدة الناب ومتى غرزت الناب في بدن الحيوان وجرحتهُ انضغط الجراب فخرج بعض السم منهُ وانصبَّ على الجرح فامتزج بدمهِ وسرى في بدنهِ

واذا اراد الفيل ان يلسع حيواناً نكس ثلثهُ الاعلى وحنى عنقهُ الى الوراء كما ترى في الشكل الاول ثم انقضَّ عليهِ كأنهُ يثب وثباً وهو يفعل ذلك باسرع من لمح البصر فاما ان يصيبهُ بناب واحدة من نابيهِ او بالنابين معاً فيجرحهُ جرحاً او جرحين . والجرح غير سامٍّ في ذاتهِ واذا اكتفى الفيل بهِ فليس من اللسعة ضرر ولا يشعر الملسوع بغير الم الجرح الاَّ اذا اهيج كثيراً قُبيل ذلك فانهُ قد ينفث السمَّ ويدفعهُ من فيهِ من شدَّة هيجانهِ فيختلط بدم الجرح كيف كان لكن ذلك نادر والغالب ان السم ينفث بعد اللسع ولو بعرهة وجيزة جداً لا تزيد على نصف ثانية لكنها كافية لدفع الاذى اذا مُنع الفيل من نفث سمهِ حينئذٍ . وهو يجني راسهُ بغتةً او يسرة حالما يعض ملسوعهُ لكي ينعصر السم من جرابيهِ ويجري من فيهِ ثم يقع كأنهُ اضاع قوتهُ ولو الى حين . وقد يبقى في جرابيهِ سم كاف للسع انسان آخر او للسع اثنين او اكثر فقد روى بعضهم ان ملاً واحداً لسع ثلاثة اولاد الواحد بعد الآخر فماتوا كلهم من فعل السم

وواضح مما تقدَّم انهُ اذا لسع الفل انسانًا من فوق ثيابهِ منعت الثياب وصول السم الى الجرح فلم يكن منهُ ضرر ولاسيما اذا نزعت الثياب حالاً حتى لا تتشبع السم وتوصلهُ الى الجرح. ولو كانت الثياب مثقوبة والسم ينفث منها ما كانت الثياب تمنع اذاهُ. واذا كان الجسم مجروحًا واتصل بهِ سم الفل سرى السم فيهِ حالاً ولو كان الفل بلا ثياب. قال الكاتب المشار اليهِ انهُ رأى جماعة من الحواة اخرجوا صلاًّ كبيرًا مقلوع الانياب وجعل واحد منهم يزمر لهُ وهو يتمايل كأنهُ يرقص جذلاً وخلع واحد آخر ثيابهُ ونظر وفاقهُ الى ظهرهِ ولما لم يجدوا فيهِ جرحًا ولا خمشًا ركع امام الفل وادار ظهرهُ اليهِ اما الرجل الذي كان ينفخ على الزمر فأبطل النفخ بغتة فاغتاظ الفل ووثب على الرجل الراكع امامهُ لانهُ اقربهم اليهِ وحاول نهشهُ في ظهرهِ ثم ارتمى على الارض ولم يكن لهُ انياب كما تقدَّم فلم يجرح الرجل ولكنهُ ترك على ظهرهِ بقعة من السم فمسحها بخرقةٍ ونهض كانهُ لم يحدث شيء

والفل يرتاح الى الاصوات المطربة ولاسيما صوت الزمر والكنجة كأنهُ يفضل الاصوات المتواصلة على المتقطعة. قال الكاتب المذكور آنفًا ان سيدة انكليزية جلست ذات ليلة في رواق بيتها ببلاد الهند وكان القمر بدرًا والنسيم لطيفًا منعشًا للابدان بعد نهار شديد الحر واخذت كنجتها بيدها وجعلت تضرب انغامًا مطربة وكانت من البارعات في الموسيقى ثم حانت منها التفاتة الى يسارها فرأت صلاًّ كبيرًا ملتفًا على عمود الرواق وقد نصب رأسهُ حتى لم يبقَ بينهُ وبينها سوى قدمين ولسانهُ ينضنض في فيهِ كالبرق فادركت حالاً شدة الخطر الذي هي فيهِ لانها لو توقفت لحظة عن ضرب الكنجة لوثب الفل عليها واوردها حتفها لكنها كانت رابطة الجاش فاستمرَّت على ما كانت فيهِ من العزف المتواصل وكان الفل يصغي ويتمايل حسب تأثير الصوت فيهِ فيطرب اذا كان النغم مطربًا ويحزن اذا كان محزنًا ويقعنس وينفخ وداجيهِ اذا كان النغم مما يثير التعجب والخيلاء كأنهُ من ابرع الناس في فن الايقاع حتى اذا تمكنت منهُ جعلت تمشي الى الوراء رويدًا رويدًا وهو لا يدري بها الى ان ابعدت عنهُ فهرعت الى غرفتها واقفلت بابها وهي لا تصدق بالنجاة

وفعل الصوت بالافاعي وغيرها من انواع الحيوان معروف من زمان قديم قال الجاحظ في كتاب الحيوان " ان من الصوت ما يقتل كصوت الصاعقة ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يفرط عليها السرور فتقلق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل بنفسهِ من حالق وذلك مثل هذه الاغاني المطربة ومن ذلك ما يكدّ ومن ذلك ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبهِ كنحو هذه الاصوات الشجية والقراءات اللحنة وليس يعتريهم ذلك من قِبَل المعاني لانهم في كثير من ذلك لا

يفهمون معاني كلامهم . وقد بكى ماسرجويه من قراءة ابي الطرخ فقيل لهُ كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به فقال انما ابكاني الشجاعة . وبالاصوات يتوسّمون الاطفال والدواب تصرُّ اذنيها اذا غنى المكاري والابل تصرُّ اذنيها اذا جدا في آثارها الحادي وتزداد نشاطاً وتزيد في مشيها ويجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم ويضرب بالطاس للطير وتصاد بها . وقال صاحب المنطق ان الايائل تصاد بالصفير والغناء . والحية واحدة من جميع اجناس الحيوان الذي للصوت في طبعهِ عمل " انتهى

وقال الكاتب الهندي ان في حب النمل لاصوات المطربة علامةً فانهُ اذا شعر مكان بيت ان فيهِ صلاً دعوا اثنين من الحواة فينغم احدهما نغماً معاريّاً فلا يلبث النمل ان يخرج من جحرهِ وينتصب امامهُ وهو ينفض بلسانهِ وقد اذهلهُ الغناء عن نفسهِ والحال يحتر الحاوي الآخر حفنةً من التراب ويضرب بها رأس النمل ويقبض على عنقهِ باسرع من لمح البصر ويقدّم لهُ يدهُ الاخرى ليلتفَّ على ذراعها ثم يتعاون الحاويان على نزع انيابهِ او على وضعهِ في الجونة من غير نزعها . وقد يستطيع حاوٍ واحد ان يقبض على النمل فينغّم لهُ باليد الواحدة ويرميهِ بالتراب بالاخرى ثم يقبض عليهِ حالاً ولكنهُ اذا اخطأ في رمي التراب او تأخر في القبض على عنقهِ عرّض نفسهُ للهلاك لان النمل لا يعتم ان ينقضَّ عليهِ ويلسعهُ لسعةً تكون القاضية . واذا قبض عليهِ كذلك ليمينهِ التفَّ على ذراعها فيتناول عنقهُ بيدهِ اليسرى ويحلُّ جانباً من طيالتهِ عن ذراعهِ اليمنى ثم يغمزهُ بيدهِ اليمنى غمزاً شديداً فينحل ويرتخي فيحل مابقي منهُ عن يدهِ ويمسكهُ مرتخي المفاصل ويضعهُ في جونتهِ

واغرب من ذلك اننا نعرف رجلاً اقطع اليمين كان يمسك الافاعي في بلاد الشام يمارهِ ويقتلع انيابها وقد شاهدنا معهُ افاعي مختلفة مقلوعة الانياب وقال انهُ كان يصغر لها حتى يخرجها من جحرها ثم يرميها بالتراب ويقبض على قفاها يمارهِ ويدني رأسها من بلاس حتى تعضهُ ثم ينزعهُ من فيها سريعاً فتبقى اسنانها عالقة بهِ

وقد يمسك الحاوي النمل بذنبهِ ويمرُّ يدهُ عليهِ من الاعلى الى الاسفل او يجلد بهِ الهواء فيذهلهُ ويصير في يدهِ كقطعة من حبل لا حراك بها

ومن ابدع ما قرأناهُ من هذا القبيل وصف هذا الكاتب الهندي لصيد النمس للنمل قال ان النمس عدو النمل الالد حتى ان العامة تزعم ان سم الاصلال لا يفعل بهِ لكن الامتحان اثبت بطلان ذلك فقد امسك بعضهم نمساً وجعل النمل يلسعهُ فمات مسموماً كما يموت غيرهُ من ذوات الدم الحار . والشائع في بلاد الهند انهُ اذا لسع النمل نمساً اسرع النمس الى النهاب واكل

بعض الحشائش فلم يفعل السم به . ولم يتحن احد ذلك حتى الآن ولكن من المقرر ان الثمس يعتمد على الحيلة في مغالبة الاصلال وهو مثال الخفة والدهاء في حركاته وسكناته

ثم وصف صيد الثمس للفصل فقال انهُ خرج مع صديق لهُ للنزهة سيفي شمالي بنغالا ولم يبعد بضعة اميال حتى وصلا الى غاب كثيف بجانبهِ اجمة ورجم من الحجارة وفيها هما ينظران الى الرجم انسابت منها هندية سوداء وجرت الى الغاب وقبل ان تسير طويلاً اعترضها ثمس كبير كأنهُ هبط عليها من السماء فرأت حالاً مخرج موقفها لانها ان تقدمت فالى مخالب الثمس وانيابهِ وان تأخرت فلا شيء يقيها منهُ فنصبت نصف جسمها في الهواء وفتحت فمها متواصلاً واخذ لسانها ينضنض بسرعة البرق وعيناها تتلألآن كانهما مصباحان وجعلت تتمايل يمنة ويسرة كأنها تريد ان تذهل الثمس بحركاتها . اما الثمس فوقف مكانهُ لا يتحرك وعيناهُ

(٤) الفصل والثمس

شاخصتان اليها كانهما جمرتان . وبعد دقائق قليلة تعبت من الانتصاب لانهُ يجهد عضلاتها جهداً شديداً وجعلت تحرك رأسها الى الامام والوراء كانها تحاول الوصول اليهِ اما هو فلم ينتقل من مكانهِ بل زادت عيناهُ بريقاً . واخيراً انقضت عليهِ فحاد من طريقها باسرع من البرق فوقع رأسها على الارض وذهبت وثبتها ضياعاً لكنها عادت فانتصبت ووقف هو امامها كما وقف اولاً وكأن غرضهُ الوحيد ان تتعب فيهون عليهِ افتراسها . وكانت تعلم ذلك منهُ فانقضت عليهِ ثانية فعادت بالفشل لانهُ حاد من وجهها وحينئذٍ اتخذ هو الهجوم بدل الدفاع فجعل يدور حولها وهي تتبعهُ براسها الى ان كلَّت من الانتصاب وملت من الانتظار فقرَّ وازبأرَّ ثم وثب عليها كأنهُ يريد ان يمنعها من عنقها وانقضَّت هي عليهِ مسددة انيابها الى راسهِ لكنهُ مال من امامها فوقع راسها على الارض وتحال ابتدره من ورائها وقبض على قفاها بانيابهِ فالتفَّت

عليهِ وكادت تسحق عظامهُ ودام على ذلك مدة هي تضيّق لفّاتها على بدنهِ وهو يشدّد انيابهُ على رأسها . ثم حفت ذنبها وحلقت بهِ بدنهُ جلدةً كادت تحطم عظامهُ فارتعدت فرائصهُ كلها لكنهُ بقي قابضاً على رأسها بانيابهِ واحيرَ انحلّت طياتها عن بدنهِ فتخلّص منها وقبض على رأسها بمخالبهِ وتركها جثةً بلا روح وعاد الى الغاب . وبادر الرجلان اليها فوجدا انهُ قد شطر رأسها بمخالبهِ شطرين

وذكر الجاحظ صيد الفيل للافعى فقال يزعمون ان بمصر دويبة يقال لها الفيل يتخذها الناظور اذا اشتدّ خوفهُ من الثعابين لان هذه الدابة تنقبض وتنضمّ وتتصال وتستدقّ حتى كأنها قطعة حبل فاذا عضها الثعبان وانطوى عليها زفرت واخذت بنفسها وزخرت جوفها فانتفخ فتفعل ذلك وقد انطوى عليها فتقطعهُ قطعاً من شدة الزجرة وهذا من اعجب الاحاديث . انتهى . ولا يخفى ان رواية الكاتب المندي اقرب الى التصديق

وسم الاصلال ابيض شديد القوام كزلال البيض النقطة منهُ تميت الحيوان الحار الدم اذا امتزجت بدمهِ . والمظنون انهُ يجمّد كريات الدم الحمراء فيمنع الدورة الدموية فيقل التنفس ويضعف فعل القلب وقد ينقطع التنفس سريعاً فيموت الملسوع لحيناتهِ . والعضو الملسوع يرم ويسودّ وقد يحل بهِ الفساد سريعاً . ولا يُعلَم لهُ ترياق شافٍ حتى الآن الاّ اذا ثبت فعل ترياق الدكتور كلمت والدكتور فريزر . ولكن اذا كانت اللسعة في طرف احد الاعضاء وقُطع ذلك العضو حالاً او كوي كيّاً بالنّار قبل ان يسري السم في البدن نجا الملسوع منهُ . روى الكاتب المندي المشار اليهِ آنفاً ان طبيباً انكليزياً من اطباء مستشفى كبل في كلكتا كان يتحن سماً مع الحذر الشديد فدار الفصّ ولسعهُ في احدى اصابعهِ وكان الاطباء بجانبهِ فربطوا اصبعهُ ربطاً شديداً وربطوا رسغهُ ايضاً ولكن ورمت الاصبع حالاً واسودت فشرحوها واخرجوا كل الدم منها وكووها بالصودا الكاوي وسقوا الملسوع المنبهات القوية لان السم فعل بهِ فعلاً عصبياً ولم يسرِ في بدنهِ وظلوا يعالجونهُ كذلك اربعاً وعشرين ساعةً الى ان جاز الخطر ولكن اصبعهُ تلفت

وذكر ايضاً ان سائقاً من سائقي مركبات سكك الحديد بين كلكتا وجبال سمالايا نزل ليلاً في اثناء الطريق ليضع فحماً في الآلة البخارية فلسعهُ صل في يدهِ ولم يكن معهُ آلة يقطعها بها وخاف ان هو صبر قليلاً ان يسري السم في بدنهِ ويميتهُ حالاً فادخل يدهُ كلها في الموقد وصبر عليها حتى احترقت . واغمي عليهِ حينئذٍ وحملوهُ على هذه الصورة الى ان بلغوا مكاناً فيهِ طبيب فعالجهُ وشفي وكان قد نجا من فعل السم